كله واستوصلها كما في السهل منه وما في الجبل وما يصير منه على البر والبحر
وما لا يصير قال بعض المفسرين ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاحرقتها
وغار ماؤها فاصبح يقلب كفيه ندما ويضرب احداهما على الاخرى
تحسرا فتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه
ظهرا لبطن كما يكنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد لانه في معنى
الندم عدي تعديته كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها
ونمائها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي دعائمها التي كانت تحتها
فسقطت على الارض وسقطت هي فوقها وقوله تعالى ويقول عطف
على يقلب او حال من ضميره يا للتنبيه ليتني تمنيا لرد ما فاته لحيرته
وذهول عقله وود لمستنه وعدم اعتماده على الله تعالى من غير اشراك
بالاعتماد على الفاني لم اشرك بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث
لا ينفعه الندم على ما فرط في الماضي لاجل ما فاته على الدنيا لا حرصا على
الايمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله مع المحسوسات
المشاهدة فان قيل ان هذا الكلام يوهم انه انما هلكت جنته
بشوم شركه وليس مرادا لان انواع البلاء اكثرها انما يقع للمومنين قال
تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال صلى الله عليه وسلم
خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وايضا لما قال
يا ليتني لم اشرك بربي احدا فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد
فوجب ان يصير مومنا فلم قال تعالى بعده ولم تكن له فئة اي
جماعة من نفره الذين افتخر بهم ولا من غيرهم ينصرونه اي يدفعون عنه
من دون الله عند هلاكها وما كان هو منتصرا بنفسه بل ليس
الامر في ذلك الا لله وحده اجيب عن الاول بانه انما عظمت حسرته
لاجل انه انفق عمره كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكلية
بقي محروما عن الدنيا والدين وعن الثاني فانه انما ندم عن الشرك
لاعتقاده على انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنته فهو
انما رغب في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيده
وقرا حمزة والكسائي يكن بالتحتية على التذكير والباقون بالفوقية
على التانيث ولما اتضح هذا المثل قطعا انه امر لغير الله تعالى
المرجو لنصر اوليائه بعد ذلهم ولا اغنائهم بعد فقرهم ولا اذلال
اعدائهم بعد عزهم وكبرهم وافقارهم بعد اغنائهم وجدهم وان
غيره انما كان كالخيال لا حقيقة له صرح بذلك في قوله تعالى هنالك
اي في مثل هذه الشدائد العظيمة الولاية لله اي الذي له الكمال كله

وقرا

وقرا حمزة والكسائي بكسر الواو اي الملك والباقون بفتحها اي النصرة
وقوله تعالى الحق قرا ابو عمرو والكسائي برفع القاف على الاستيناف
والقطع تعليلا تنبيها على ان فزعهم في مثل هذه الازمان اليه دون غيره
برهان قاطع على انه الحق وما سواه باطل وان الفخر بالعرض الزايل من
اجل الجهل وان المومنين لا يصيبهم فقر ولا يسوغ طردهم لاجله
وانه يوشك ان يعود فقرهم غنى وضعفهم قوة وقرا الباقون وقرا
الباقون بخفضها على الوصف اي الثابت الذي لا يحول يوما ولا يزول
ولا يغفل ساعة ولا ينام ولا اولية لغيره بوجه هو خير ثوابا من
ثواب غيره لو كان يثيب وخير عقبا اي عاقبة للمومنين وقرا
عاصم وحمزة بسكون القاف بضمها ونصب على التمييز ولما تم المثل
لدنياهم الخاصة بهم التي نظرتهم فكانت سببا لاشقائهم وهم
يحسبون انها عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس
في قلة ثوابها وسرعة فنائها وان من كثير كان احسن منها فقال
واضرب اي صير لهم اي لهولاء الكفار المفتخرين بالعرض الفاني
المفتخرين بكثرة ذكر الاموال والاولاد وعزة النفر وقوله
تعالى مثل الحياة الدنيا مفعول اول ثم ذكر المثل بقوله تعالى كماء
وهو المفعول الثاني انزلناه بعظمتنا وقدرتنا وقال تعالى من
السماء تنبيها على القدرة في امساكه في العلو وانزاله في وقت
الحاجة فاختلط اي فتعقب وتسبب عن انزاله فاختلط
به نبات الارض اي التف به حتى خالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه كما قال تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت
وقيل اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روي واهتز ونمى وكان
حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط به نبات الارض لكن لما كان
كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة
في كثرته ثم اذا انقطع ذلك بالمطر مدة جف ذلك النبات فاصبح
هشيما اي يابسا متفرقة اجزاؤه تذروه اي تنثره وتفرقه
الرياح فتذهب به والمعنى انه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن
فيبس وتكسر ففرقته الرياح حتى يصير عما قليل كانه بقدرة الله
تعالى لم يكن وقرا حمزة والكسائي بالتوحيد والباقون بالجمع
وكان الله اي المختص بصفات الكمال على كل شيء من ذلك
وغيره انشاء وافناء واعادة مقتدرا ازلا وابدا بتكوينه اولا
وتنميته وسطا وابطاله اخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر
اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا ثم ياخذ